Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولأن الإنسان يعيش بين لغته وفكره، فلقد يتراءى له حاله في عين نفسه «كالبندول» فمرة يتحرك إلى هذه، ومرة يتحرّك إلى هذا. ثم ينتهي، ولما تستقر به الحال لا إلى هذه ولا إلى هذا. وكأن قدره معهما أن يظل متحرّكاً بينهما: فهو قائل مفكر، وهو مفكر قائل. ومحال أن يستطيع فكاكاً.

ولقد تبدو اللغة، من منظور البداهة لهذا الكائن، بأنها الكينونة الأكثرُ حضوراً فيه. وذلك لسببين:

ـ أولاً: لكثرة معاشرته لها استعمالاً وأداء. فهو بها يُثبت علْمَه ويظهر معارفَه. وابن حزم يقول: «لا سبيل إلى معرفة الأشياء إلاّ بتوسط اللغة»[3]. ولقد تبدو كذلك أيضاً لأنه يعبّر بها عن حاجاته، ويطارحها وعياً وحلماً، ويستثيرها تكويناً للرؤية، فينتقل بها من كائنه الإنساني إلى كائنه الكلامي.

ولما كان الإمام الغزالي مدركاً لأهمية اللغة بالنسبة إلى الإنسان، فقد نزلها منزلها «الفينومينولوجي» في الظاهرة الإنسانية فقال: «ولا متكلم إلا وهو محتاج إلى وضع علامة لتعريف ما في ضميره»[4].

ـ ثانياً: إن وجود الإنسان بقاء، متصل بأسباب وجود اللغة فيه دواماً. ولقد ذهب ابن حزم إلى تقرير هذا الأمر، فربط وجود الإنسان وبقائه بوجود الكلام. إنه يقول: «لا سبيل إلى بقاء أحد من الناس ووجوده دون كلام»[5].

ولكن الفكر قد يبدو بدوره، من منظور العلم لهذا الكائن، بأنه الكينونة الأكثر دواماً فيه. وذلك لسببين:

ـ أولاً: لأنه به يعقل وجوده ووجود ما يحيط به. وهو يتخذ